الفصـــل الثالث

البيبليوجرافيا تعنى : معلومات عن المصادر

وتعقيباً على هذا العنوان يمكن أن نقول بأن الصيغة الكاملة له كان يجب أن تتخذ الصورة التالية : البيبليوجرافيا تساوى « مصادر معلومات عن مصادر المعلومات » .

مقدمة وتعريفات :

١ ــ البيبليوجرافية هى المفرد وجمعها بيبليوجرافيات .

٢ ــ البيبليوجرافيا هى العلم نفسه ، شأنها فى ذلك شأن كلمات أخرى انتقلت بشكلها الأصلى من اللغات الأجنبية لتحيا فى لغتنا العربية بدلالات لعلها فى هذا الشكل أوضح منها فى أى محاولة لترجمة اللفظ أو نحت مقابلة بالعربية : وأمثلتنا على ذلك كلمات مثل الجغرافيا ، والديموجرافيا . ولعل إحدى الترجمات الأقرب إلى النجاح بالنسبة لكلمة بيبليوجرافيا هى كلمة « الوراقة » ــ ومصدر نجاحها أنها ترجع بنا إلى المصادر الثرية فى تراثنا العربى الذى ربما سبق الفكر الأوروبى فى هذا المجال أصالة وعراقة .

٣ ــ كما أن كلمة البيبليوجرافيا قد تعنى أيضاً مجموع ماينتجه عمل البيبليوجرافيين أى المشتغلين بعلم البيبليوجرافيا . وبذلك تعنى هذه الكلمة شيئين :

بيبليوجرافيا = علماً سوف نحاول تعريفه الآن .

بيبليوجرافيا = مجموع أو حصيلة عمل المشتغلين بهذا العلم والممارسين له .

٤ ــ أما البيبليوجراف (بتشديد الياء) فهو المشتغل بعمل البيبليوجرافيات أى إنتاج القوائم التى سنتحدث عنها الآن .

كانت هذه هى المقدمة والآن لنعرض التعريفات :

القسم الأول - ماهية البيبليوجرافيا :

البيبليوجرافية هى أولاً قائمة تعطى بيانات عن مواد منشورة أو غير منشورة يتم تجميعها وفقاً لصلة من نوع ماتربط بين هذه المواد ، والقائمة قد تضم مواد مخطوطة أو كتباً مطبوعة . وقد تعالج مقالات فى الدوريات ، أو تعالج نشرات ، أو وثائق حكومية ، أو مطبوعات هيئات ، أو اسطوانات وتسجيلات صوتية ، أو خرائط ، أو تصميمات ، أو صور ، أو أفلام ، أومسكوكات ، أو طوابع ... أو أى شكل آخر من وسائل تسجيل المعرفة ولوكانت نقوشاً على أحجار أو نصوصاً على برديات .

كانت هذه محاولة لتعريف كلمة البيبليوجرافية (بصيغة المفرد ــ وبالتاء المربوطة بنهايتها) .

ثم توجد تعريفات متعددة لكلمة بيبليوجرافيا (بألف المد فى نهايتها) :

ففى عصور سابقة كان اللفظ يشمل كل مايتصل بصناعة الكتب : تأليفها ، نسخها ، توضيحها بالصور والرسوم ــ وكانت صناعة البيبليوجراف (بتشديد الياء) تعنى شخصاً يشتغل حينذاك بكتابة الكتب .(Bibliographer)

ولم يبدأ الانتقال فى معنى لفظة بيبليوجرافيا بحيث تعنى الكتابة عن الكتب إلا فى القرن الثامن عشر ــ هنا تبلور المعنى الجديد بحيث أصبح الشخص المشتغل بالبيبليوجرافيا هو من يعمل على تجميع قوائم بأسماء الكتب . ومن هنا جاء تعريف البيبليوجرافيا بأنها « علم الكتب » ــ أى أنها تضم الدراسات التى تدور حول الكتب ، ثم انسحبت بالتدريج على سجلات المعرفة أو أوعية المعرفة بكافة أشكالها .

ومع ذلك فمن وجهة النظر التاريخية استمر اللفظ لعدة أجيال يستعمل بدون تحديد واضح أو قاطع فظل يشمل كل مظهر من مظاهر إنتاج أو تجميع الكتب . بل وكثيراً ما كان يعنى مانعنيه اليوم بالعمل فى المكتبات ، أى النشاط المكتبى بكافة نواحيه (من

حيث التزويد والإعداد ومن حيث التعريف بالكتب) ــ هذا مع التركيز طبعاً حول القوائم وتجميع القوائم أولاً .

وقد لايهمنا الاستمرار لأبعد من ذلك فى تسجيل تاريخ هذا اللفظ . وإنما تعنينا المحاولات الأحداث لتحديد معنى البيبليوجرافيا كما تمارس الآن :

١ ــ البيبليوجرافيا تعنى أولا فن جمع المعلومات عن الكتب ثم تقديم هذه المعلومات إلى الآخرين ــ أى تدوينها أو تسجيلها فى قوائم .

٢ ــ إذن فنتيجة لهذا تعنى كلمة « بيبليوجرافيا » مجموع الحصيلة الضخمة من التجميعات أى القوائم التى تشتمل على هذه المعلومات عن الكتب وغيرها من أوعية حمل ونقل وحفظ المعرفة التى ذكرت أنواع منها أكثر من مرة فى الفقرات السابقة .

٣ ــ ومع التخصص من بين هذه الحصيلة تعنى كلمة « بيبليوجرافية » ــ بالتاء المربوطة ــ أى قائمة فردية بعينها جمعت حول شخص أو شيء أو موضوع أو عصر أو مكان ... الخ . وهذه لفظة قابلة لأن تستعمل فى صيغة الجمع فنقول البيبليوجرافيات (Bibliographies) قاصدين بذلك قوائم بعينها نريد أن نشير إليها معاً ــ أى أن البيبليوجرافية الواحدة هنا شيء مادى قائم بذاته وله حدوده . هو قائمة (طالت أو قصرت) جمعت لغرض بالذات . ولو كان هذا الغرض يتسم بالتعميم أو الشمول كما يحدث فى البيبليوجرافيات العامة .

ومعنى هذا كله أننا لم نجانب الصواب حين قلنا : « البيبليوجرافيا تعنى معلومات عن المصادر » .

* * *

أسس التجميع :

رغم تعدد التجميعات البيبليوجرافية سوف نجد أنها لاتصل فى تنوعها إلى القدر الذى تنوعت به أسس التجميع التى يمكن أن يسير عليها جامعوها . فالصعوبة التى يصادفها الدارسون وبعض أمناء المكتبات هى إمكان تصنيف البيبليوجرافيات على أسس متعددة . فمثلا نجد ثمانية أسس يمكن التفريع منها إلى فئات يبلغ عددها أكثر من ثلاثين فئة فرعية . وهذه الأسس الثمانية تفصيلها كايلى :

١ ــ التجميع على أساس الزمان الذى تغطيه فتجمع معاً كتب عصر بعينه أو فترة بعينها .

٢ ــ والتجميع على أساس المكان فنجد بيبليوجرافيات قومية ، ومحلية ، وإقليمية إلى آخره .

٣ ــ والتجميع على أساس المجال (أى مدى التغطية) فنجد بيبليوجرافيات شاملة ، وأخرى منتخبة أو متخيرة .

٤ ــ والتجميع على أساس نوع المادة المدرجة فنجد بيبليوجرافيات للكتب ، وأخرى للدوريات ، أو للتقارير ، أو النشرات ، أو الخرائط ، أو الأفلام ، أو المقالات ، أو الوثائق التاريخية ... الخ .

٥ ــ ومن حيث الترتيب نجد تجميعات هجائية بالمؤلف أو بالعنوان أو بالموضوع ــ أو معجمية بهذا كله ــ أو موضوعية مصنفة .

٦ ــ ومن حيث محتويات المدخل نجد تجميعات لمداخل مفصلة ، أو مقتصرة مثلا على المؤلف والعنوان والسنة ، أو قد تعطى معلومات عن التوريق (عدد الصفحات ، والمجلدات ، والحجم ، والصور واللوحات ...) ، أو قد تعطى شروحاً وحواشى ، وقد تتضمن حتى معلومات تجارية عن الثمن ونوع الورق والتجليد ... الخ .

٧ ــ ومن حيث مستوى أو نوع المصادر المدرجة نجد مصادر أولية ومصادر ثانوية .

٨ ــ ومن حيث طريقة الإصدار نجد بيبليوجرافيات جارية أو متتابعة ، وبعضها تجميعى أو تراكمى وفقاً لخطة زمنية مدروسة وغالباً معلنة . وتقابلها بيبليوجرافيات ليست لها صفة التسلسل أو التتابع الدورى .

* * *

تفصيل الفوارق النوعية :

ورغم حرصنا نحن المكتبيين على المعلومات المفصلة عن جسم الكتاب ، أو الوعاء المعرف المدرج بالبيبليوجرافية أياً كان نوعه ــ إلا أننا نعنى غالباً بالبيبليوجرافيات المنهجية التى رتبت فيها المداخل ترتيباً يستهدف أولا إظهار المحتوى الموضوعى للكتاب المدرج .

فالمعلومات المرغوبة فى الغالبية العظمى من مواقف البحث تدور حول الموضوع قبل الشكل .

وأريد أن أبين هنا الفارق بين لفظين قد يختلطان على القارىء وهما : (١) منهجى و(٢) موضوعى . فاللفظان هنا غير مترادفين . وإنما ما أعنيه بكلمة منهجى هو كل ماينتظمه ترتيب متواتر وفقاً لخطة معينة فى الاختيار ثم التوزيع لما جمعته القائمة البيبليوجرافية من مفردات (أى ماجمعته من مداخل) . وعلى ذلك فإن اللفظة الأولى « منهجى » ــ تشمل بين طياتها القوائم البيبليوجرافية بالموضوع بمعنى أن كل القوائم الموضوعية منهجية Systematic .

ولكن ليست كل القوائم المنهجية موضوعية Subject bibls فالترتيب الزمنى منهجى والترتيب بالمكان منهجى ولكنهما ليسا بالضرورة موضوعيين .

وثم تصنيفات أخرى للبيبليوجرافيات .

فمنها مالا يقصر نفسه على موضوع بعينه ــ أى أنه عام بطبيعته . ومع ذلك فقد يحده نوع المواد (أى أوعية نقل وتسجيل المعرفة التى يدرجها معاً) ، أو يحده تاريخ إصدارها ، أو اللغة التى كتبت بها ، أو مجرد ندرة المواد المدرجة .

أنواع من البيبليوجرافيات العامة :

فى قرون سابقة حين كانت المواد المطبوعة لاتستعصى على الحصر والتجميع قامت محاولات لإنتاج بيبليوجرافيات عالمية ــ ولكن لن نجد اليوم مايقارب هذا التجميع الشامل أكثر مما تمثله الكتالوجات المطبوعة لعدد من كبريات المكتبات القومية لدول مختلفة ــ لأنها تعكس جهوداً مستمرة ولسنوات طويلة لتجميع مطبوعات من مصادر مختلفة ، وبلغات مختلفة ، تركزت فى النهاية فى مقتنيات هذه المكتبات ثم نشرت بها كتالوجاتها الحصرية الشاملة لما تملك .

أما عن البيبليوجرافيات « القومية » فهى شىء آخر غير كتالوجات محتويات المكتبات القومية . فالبيبليوجرافية القومية (وأحياناً تسمى باللغة العربية : البيبليوجرافية الوطنية) إما أن تكون قائمة بالكتب التى نشرت فى دولة ما ، أو نشرت بلغة ما ــ فإذا كانت بيبليوجرافيات مماثلة ولها نفس التغطية ولكن تصدرها أو تشرف عليها هيئات نشر تجارية

(وليست رسمية) وتوجه اهتمامها عند وصف الكتاب إلى بيان تجليده وحجمه ، وثمنه بوجه خاص (أى المعلومات المتصلة به بوصفه سلعة للبيع والتوزيع) ، إذن يمكن فى هذه الحالة تسميتها بالبيبليوجرافيات « التجارية » ــ فلا نخلط بينها وبين البيبليوجرافيات القومية .

ولنحذر من أن نفهم من كلمة « بيبليوجرافية قومية » أنها بيبليوجرافية حول موضوع دولة بعينها ، أو قومية بعينها لأنها فى هذه الحالة لن تخرج عن كونها بيبليوجرافية موضوعية عن الدولة أو عن القومية . ولكنها ليست البيبليوجرافية القومية لتجميع ومتابعة التعريف بإنتاج تلك الدولة من الكتب (أو أنواع المطبوعات الأخرى) ، فهذا هو بالضبط مانعنيه بهذه الفئة . والبيبليوجرافيا القومية قد لاتقتصر فقط على الكتب بل هى فى عدة دول تشمل كل الإنتاج أيا كان شكله : كتب ، دوريات ، خرائط ، نشرات ، رسائل أكاديمية ... الخ .

ومن أنواع البيبليوجرافيات العامة أيضاً « البيبليوجرافيات المختارة أو التعليمية » أو كما تسمى أحياناً « بيبليوجرافيات المستويات » ــ وهى من حيث محتواها لاتتقيد بزمان أو مكان أو موضوع بعينه . إلا أنها تعنى باختيار ماتدرجه بقصد معاونة نوع بالذات من القراء على الاختيار من بين الإنتاج الكامل للكتب المطبوعة . أى أنها عامة فى تغطيتها للموضوعات ولكن المطبوعات فيها اختيرت لتناسب مستوى القارىء الذى استهدفت خدمته من بادىء الأمر : مثل : بيبليوجرافية عامة لكتب الأطفال ــ فالأطفال فى هذه الحالة يمثلون مستوى بعينه من القراء .

البيبليوجرافيات المحددة :

وأساس التحديد فيها هو الزمان أو المكان أو الموضوع . ومنها تتفرع الأنواع التالية :

(أ) بيبليوجرافيات محددة بالزمان وهى قوائم بالمواد الصادرة خلال مدة بعينها : وهذه قد تكون جارية أو راجعة .

(ب) بيبليوجرافيات محددة بالمكان : أى أنها قوائم بالمواد الصادرة فى مكان أو منطقة بعينها . إذن فالبيبليوجرافيات القومية تدخل ضمن هذا النوع حيث تتحدد محتوياتها بالمكان ــ وهى تدخل ضمن الفئة السابقة (أى محدد بالزمان) حيث

لاتتجاوز فى تغطيتها مطبوعات فترة بعينها ــ ولتكن سنة مثلاً أو شهراً أو ستة شهور ... الخ .

(جـ) البيبليوجرافيات التجارية : وهى حين تقصد التعريف بإنتاج بعينه لكى تساعد تجارة المطبوعات ، فهى محددة عادة بالزمان والذى تغطيه المطبوعات ، أو بالمكان (سوق بالذات فى دولة بالذات أو عدة دول) ، أو محددة باللغة التى صدرت بها المطبوعات ــ أو بهذه الأسس مجتمعة .

(د) بيبليوجرافيات محددة بشكل المواد المدرجة بها (أى نوعية أوعية المعرفة التى جمعتها لتقدم المعلومات عنها) : كتب ، دوريات ، مقالات ، أفلام ... الخ .

(هـ) بيبليوجرافيات موضوعية : وهذه قوائم بالمواد المعالجة لأى موضوع ، سواء أكان شخصاً أو مكاناً أو شيئاً . وعلى ذلك فالبيبليوجرافية الخاصة بمؤلف (مؤلفاته + مضافاً إليها مؤلفات عنه) هذه بيبليوجرافية موضوعية ــ ، وتشبهها فى هذا السيرة البيبليوجرافية Bio- bibliography فهى الأخرى بيبليوجرافية موضوعية عن حياة شخص ومؤلفات عنه ، وربما مؤلفاته إن وجدت .

وبطبيعة الحال البيبليوجرافيات عن الدول تأتى هنا فهى موضوعية ولا نسميها بيبليوجرافيات قومية .

* * *

القسم الثانى - استعمالات المراجع البيبليوجرافية :

إن نسبة عالية من مواقف البحث التى يتناولها قسم المراجع داخل المكتبة فى أدائه اليومى لواجباته الإرشادية تدور حول مشكلات بيبليوجرافية . وهذه عادة تقع داخل تقسيمات ثلاثة :

١ ــ اختيار الكتب والمواد المكتبية الأخرى .

٢ ــ تحقيق المعلومات حول أى من هذه المواد (أى أوعية حفظ ونقل المعرفة) بقصد التعرف على الوحدة المطلوبة بالذات دون غيرها .

٣ ــ توثيق الإنتاج الجارى فى موضوع أو علم بعينه .

(أ) الاختيار :

الأسئلة المتعلقة بالاختيار تتطلب انتخاب عدد محدود من المواد (سواء مطبوعات أو غيرها) بحيث تصلح لسد حاجة بعينها . وفى خلال ساعات العمل اليومى داخل قسم المراجع قد تتعدد هذه الحاجات وتتنوع .

فالقارىء الذى يريد الحصول على كتاب صالح يناسب مستواه فى موضوع بالذات يثير بمطلبه هذا بحثاً مرجعياً يتحدى قدرات أمين المكتبة (أو أخصّائى المراجع بالذات داخل المكتبة الكبيرة) ، كما يتحدى إمكانية الأدوات البيبليوجرافية بالمكتبة أن تيسر له الوصول إلى كتاب يناسب احتياجاته المتخصصة ــ وذلك من بين كتب أخرى متعددة تملكها المكتبة .

والتكليفات الدراسية (سواء فى المدرسة أو فى الكلية أو فى المعهد العالى) تستلزم على الأقل قائمة بالكتب المناسبة حول الموضوع المطلوب دراسته . والمكتبة نفسها سوف تحتاج لاختيار أكثر الكتب ملاءمة لاحتياجات روادها والبيئة التى قامت لخدمتها ــ وهذا جزء طبيعى وأساسى من الأداء العادى داخل أى مكتبة . إذن فمشكلات اختيار أنسب الكتب لقراء بالذات (وكذلك مشكلات اختيار المواد من غير الكتب) تمثل دافعاً مستمراً لاستعمال البيبليوجرافيات داخل المكتبة .

وتكفى الإشارة إلى إحصائيات نشر الكتب سواء بلغتنا العربية أو باللغات المعروفة لنا ولقرائنا لنقدر مدى ضخامة هذا الجانب من مشكلات البحث البيبليوجرافى ــ وهذا سواء أكان الاختيار لأغراض الشراء (أى اختيار كتاب لم نملكه بعد فى مكتبتنا) ، أو كان الاختيار من بين مجموعاتنا التى نملكها فعلا لنجيب حاجة مخصصة عبر عنها قارىء بعينه (أى محاولة للتوفيق والمطابقة بين مادة نملكها وبين الاستعمالات الجادة التى نريدها لها) .

(ب) التحقيق البيبليوجرافى :

نوع آخر من أنواع البحث البيبليوجرافى لاتقل مشكلاته ضخامة أو اتساعاً عما ذكرناه فيما يتعلق بعمليات الاختيار ، وذلك النوع هو التحقيق البيبليوجرافى ــ فالأسئلة المرجعية هنا تنصب على محاولات التعرف على كتاب ، أى الحصول على

تسجيل كامل لخصائص كتاب تنقصنا بعض البيانات البيبليوجرافية عنه . فالمستعلم أو الباحث قد يعوزه الحصول على تاريخ نشر الكتاب ، أو يريد تصحيح عنوانه أو استكماله ، أو عدد صفحاته ، أو أى بيان بيبليوجرافى آخر مما يدخل فى تكوين العناصر الوصفية لهذا الكتاب (أو المطبوع من أى شكل آخر غير الكتب) .

والأسوأ من هذا هو وجود معوقات تزيد من صعوبة التحقيق ، كأن توجد لدينا بيانات بيبليوجرافية خاطئة يأخذ الباحث منها نقطة انطلاق فى اتجاه غير سليم (مثلا تاريخ نشر يكتب خطأ فيتسبب عنه بحث فى مجلدات من المراجع البيبليوجرافية لاتمت بصلة للكتاب أو المطبوع المراد تحقيق بياناته) .

(جـ) التوثيق :

أما عن التوثيق فقد تطور منذ منتصف الأربعينات فى القرن العشرين (أى خلال قرابة نصف قرن تقريباً حتى الوقت الحالى) بحيث أصبح يكون الآن فرعاً متميزاً عن فروع مهنة المكتبات ــ وربما أمكن اعتباره مهنة قائمة بذاتها . ولا أظننا سوف نقنع بتعريف بعينه مما وضع حتى الآن لنشاط جديد ومتطور ولم يجد بعد الوقت الكافى لتتبلور حوله تعريفات قاطعة مانعة . فقد يقال بأن التوثيق هو : « عملية الجمع ثم التصنيف الموضوعى لكل نص يسجل كشفاً جديداً ، ثم التعريف بهذا النص للباحث والمكتشف والمخترع ، بل وأكثر من ذلك تيسير إطلاعهم على ذلك النص كلما دعت الحاجة » .

إذن فهو جمع وتنظيم وإدراج فى ترتيب مصنف ، مع تلخيص النص أحياناً ثم نشر وتوزيع أدوات هذا التعريف ، ثم تقديم مصادر المعلومات نفسها (التى أدرجنا بياناتها البيبليوجرافية فى قوائم التعريف بها) ــ تقديمها إلى من يريدها ، وبسرعة تتفق مع الحاجات العاجلة للبحث . وهذا كله فى سباق ملهوف يتعجل تعرف آخر ماوصلت إليه بحوث الغير حتى يبنى عليها من دون أن يكررها . وبهذا يمكن القول بأن التوثيق يضم كل جوانب خدمة المراجع التى تساند البحث :

فهو يشمل عمل المستخلصات عن أحدث البحوث والدراسات والتقارير والاستكشافات ثم توزيعها على المتخصصين فى مراكز البحوث ومحطات التجارب وغيرها من نقاط الدراسة المتعمقة الكاشفة ــ لأن هؤلاء بدورهم يتابعون بحوثاً فى نفس المجال أو بوجه أصح فى نفس الموضوع ولنفس الهدف .

ولذلك يبدو أن الغرض الأول من التوثيق هو اختزال الوقت والجهد اللذين يمكن أن يضيعا بين الوصول إلى كشف جديد وبين الوصول إلى تطبيقات لهذا الكشف تساعد على تحقيق كشف آخر أحدث منه ــ وهكذا وهكذا ، سباق محموم فى أبحاث المنتجات الصناعية والاختراعات والطب والهندسة والتعدين والزراعة والكيمياء والطبيعة (وخاصة النووية) وعلم الحياة والرياضيات ــ هذا بجانب الأبحاث المحمومة هى الأخرى لأجل السبق والتفوق فى مجالات التسلح وارتياد الفضاء .

من أجل هذا (وبصرف النظر عن أى جانب آخر من جوانب خدمة المراجع والإعلام البيبليوجرافى) سوف يحتاج المكتبى الذى يعمل فى مجال التوثيق إلى معرفة متخصصة بالمادة التى يتولى التوثيق فيها ، بل هو بالضرورة أخصّائى فيها ، بل وأكثر من ذلك : هو شريك فى البحث وفى تخطيطه وتوجيهه فلايقف دوره هنا على ماتعودنا أن نرى عليه أخصّائى المراجع الذى يجيب فقط حين يسأل . ولذلك « فالموثقون » يجمعون عادة بين تخصصهم الموضعى وتخصصهم المكتبى البيبليوجرافى .

* * *

القسم الثالث – البيبليوجرافيات الموضوعية :

إذا تقدم قارىء داخل المكتبة مستعلماً عن موضوع بعينه ، فلعل من بين الوسائل التى تساعد على إجابته إلى بغيته قائمة بكتابات أو مؤلفات تدور حول هذا الموضوع . وإن مثل هذا البحث عن بيبليوجرافية موضوعية كثيراً مايفرض نفسه على مرشدى المراجع فى معظم المكتبات . وربما توصلنا خلاله إلى مؤلف أو أكثر عالج الموضوع المطلوب ومن ثم تسد حاجة ذلك المستعلم . ولكن للأسف ليست طرق البحث بهذه البساطة ، ولا البيبليوجرافيات الموضوعية بهذا الاكتمال فى تغطيتها للموضوعات المختلفة . ولذلك فكثيراً مايخذلنا البحث الموضوعى حين نتجه إلى معالجة حاجات المستعلم معتمدين على المراجع البيبليوجرافية التى تملكها مكتبتنا فعلا . ولنبين هذه النقطة بوضوح أكثر فى الفقرات التالية :

(أ) البيبليوجرافيات الموضوعية « الشاملة » :

بعض البيبليوجرافيات الموضوعية تحاول أن تكون مكتملة أو شاملة وفى العصر

الحاضر لن يتيسر هذا الاكتمال بسهولة ــ بل ربما اجتراً الجامع على القيام بمثل هذه المحاولة فى قسم صغير جداً داخل موضوع مخصص داخل مجال محدد من مجالات المعرفة . وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى ضخامة الكميات الموجودة فعلا من الإنتاج المطبوع .

فحتى على فرض اختيار موضوع ضيق جداً ومحدد بمنتهى الوضوح قبل بدء التجميع ، فإن من النادر ، بل من المتعذر أن نتوقع الشمول أو الاكتمال ــ وذلك لتعذر الوصول إلى المواد التى كتبت حول نفس الموضوع بلغات غير معروفة لجامع البيبليوجرافية ، وكذلك لتعذر الوصول إلى مقالات الدوريات التى تنشر ملايين منها حول موضوعات مختلفة لاتتيسر متابعتها إلا بنسب ضئيلة جداً خلال أدوات ومراجع بيبليوجرافية (مثل كشافات الدوريات) .

ومع ذلك تظهر من وقت لآخر محاولات لتجميع بيبليوجرافيات موضوعية شاملة . ففى مجالات العلوم التطبيقية بالذات قد يطلب الباحثون حصراً شاملاً لكل ماكتب من قبل حول موضوع بعينه ،وذلك قبل بدء القيام بمشروع بحث جديد داخل نفس الموضوع ــ ومن هنا يقوم البيبليوجرافيون بإعداد مثل هذه البيبليوجرافية الموضوعية شبه الشاملة من أجلهم وأحياناً قد يطبع تجميع من هذا النوع ويصبح فى إمكان جمهور القراء الانتفاع به إن أرادوا . وأن مثل هذه البيبليوجرافيات لابد لها (بطبيعة الظروف التى أدت إلى جمعها) من أن تكون محصورة داخل موضوعات غاية فى الصغر لأن البحث المحدد عادة مغرق فى التخصص (وذلك فى مجال العلوم التطبيقية على الأقل) .

هذا على حين أن بعض المحاولات قد حدثت من قبل لجمع بيبليوجرافيات موضوعية شاملة حول موضوعات « أكبر » نسبياً (أى أوسع مجالا) ، ولكن لم يتيسر هذا إلا على حساب جامع أفنى حياته فى مثل هذه المحاولة .

فإن هذا النوع من المحاولات له سحر خاص فى عقول من صنف خاص هى الأخرى والنتيجة رغم ذلك ليست جديدة كل الجدة فالتجميع ليس إضافة للمعرفة بقدر ماهو تنظيم لجزء منها ــ فجامع البيبليوجرافيا إنما يرتب ماسبق إنتاجه من جانب غيره . والترتيب فى حد ذاته قد يحاول تنسيق علاقات أو إبراز جوانب ، أو توكيد اهتمامات ... الخ ، وإن كانت الكثرة العددية للمداخل عند التجميع الموضوعى الشامل من هذا النوع تبتلع عادة اللمسة الموضوعية من جانب الجامع وتكتمها فى أضيق حدود

الجمع ثم الترتيب ثم الإدراج (أى التسجيل) مع أقل قدر من مقارنة أو دراسة أو شرح ، أو بدون شيء من هذا إطلاقاً .

والحواشى أو الشروح Annotation (وخاصة ماكان منها يعمد إلى تقييم المطبوع الذى تذكره البيبليوجرافية) ـــ هذه الشروح تزيد من قيمة البيبليوجرافيات الموضوعية :

أما عن « اكتمال التجميع » فى أى بيبليوجرافية موضوعية فكثيراً مايتطلب تسجيل مداخل تشير إلى كتابات تضمها مواد من أنواع مختلفة ، بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع أحياناً . ولا أظننى بحاجة إلى تكرار ذكر أنواع المواد المطبوعة التى عددتها من قبل . ومع ذلك أعود فأقول أن الاكتمال يعنى إدراج الكتب ، ومقالات الدوريات ، والنشرات (أو كما تسمى أحياناً الكراسات المطبوعة Pamphlets) والمطبوعات الحكومية ، والرسائل الأكاديمية .... الخ . أضف إلى ذلك أن بعض المجالات الموضوعية تتطلب أشكالا من المطبوعات تفردت بها دون غيرها .

فمثلا : فى مجالات العلوم والصناعات والبحوث التطبيقية عموماً ماقد نصادف رسوماً هندسية ، أو مواصفات إنتاج صناعى ، أو تقارير سرية عن بحوث جارية (وهذه يرفع عنها الحظر والسرية بعد مراحل أو فترات بعينها ... الخ) .

هذا بينما فى مجال العلوم الاجتماعية سوف نصادف تقارير مؤسسات وهيئات ، وجميعات ، كما نصادف إحصائيات ، وحوليات ، ونشرات بعضها إعلامى وبعضها دعائى .

وأن قلة ضئيلة من البيبليوجرافيات هى تلك التى تدرج معاً كل المواد المتصلة بموضوعاتها أياً كان الشكل الذى صدرت به تلك المواد . كما أنه من المتعذر أن نبين إلى أى حد نجحت قائمة بيبليوجرافية موضوعية نختبرها فى إدراج كل المواد الصادرة بلغات لانعرفها .

وللأسف سوف نجد أن البيبليوجرافيات الموضوعية (التى تحاول كل منها تحقيق التغطية الشاملة لموضوعاتها) ليست بالكثرة التى يتمنى كل مكتبى أن يتحقق له بها الوصول إلى أدوات طيعة فى خدمة البحث والباحثين . ولذلك فهى لاتغطى فيما بينها

مجتمعه إلا جانباً ضئيلا من المعرفة الإنسانية . ومما يؤسف له أيضاً أن ببليوجرافيات موضوعية كثيرة من بين ماتملكه المكتبات حالياً بعيدة كل البعد عن الاكتمال . وهذا إما لأنها لم تتخذ فكرة الاكتمال مثلا أعلى تحاول تحقيقه ، أو لأنها قصرت عن تحقيقه حين قصدت إليه .

(ب) البيبليوجرافيات الموضوعية المتخيرة :

هذه تهدف ــ أو على الأقل من واجبها أن تهدف ــ إلى تعريفنا بأى المؤلفات أصلح من غيرها لتحقيق هدف أو سد حاجة بعينها . وعند تجميعها لابد للجامع من أن تتوفر لديه المعرفة المتخصصة بالموضوع الذى يجمع ، ثم ينتخب ، ثم يرتب ، ثم يدرج مؤلفاته وأحياناً لا نقنع بالأخصائى بل نشترط فى الجامع أن يكون خبيراً (وهذه درجة أعلى بين مراتب التخصص) .

وهذه البيبليوجرافيات المتخيرة تستعمل بكثرة فى كل أنواع المكتبات ، سواء من جانب مكتبى يريد إجابة باحث فى موضوع بعينه ، أو مكتبى يريد إرشاد القراء فى برامج قراءة موجهة ، أو مكتبى يستعين بقوائم الكتب المختارة فى عمليات اختيار الكتب للاقتناء فى مكتبته . والتجميعات من هذا النوع إن كانت صغيرة تناسبها بشكل أدق تسمية متواضعة مثل قائمة مطالعات مختارة ، أو قائمة « مراجع » ــ وكلمة مراجع فى هذه الحالة تستعمل استعمالا غير اصطلاحى بالمرة ــ ونقصد بها القائمة التى تأتى فى نهاية كتاب ، أو نهاية بحث ، أو رسالة جامعية ، أو فى نهاية أحد فصول أى من هذه المطبوعات .

وهذه قد تصلح لها عبارة : « قائمة مصادر » . وربما قلنا أن كلمة مصادر هنا تستعمل هى الأخرى استعمالا غير اصطلاحى .

وكثيراً ماتسمى قوائم البيبليوجرافيات المختارة بقوائم « أحسن الكتب » ــ ولكننا نسأل دائماً : أحسن الكتب لمن ؟ أو هكذا يجب أن يكون موقفنا منها ... ففى مواقف بحث مختلفة قد تختلف الكتب التى نعتبرها الأحسن أو الأصلح ، وهذا يعتمد فى المكان الأول على نوع الغرض الذى نتوخاه منها فى كل موقف على حدة . فقد نحتاج من أجل قراء بالذات إلى كتاب يمثل مبادىء المادة أو مدخل إلى العلم أو مقدمة فى الموضوع ،

وقد نحتاج من أجل قراء آخرين إلى كتاب أكثر تخصصاً ، أو إلى كتاب يشتمل على صور أو رسوم أو إيضاحات أو إلى كتاب يعرض ويقارن ثم يرجح ويقرر ... وهكذا . ولكن مع ذلك فإننا عند معالجة نسبة عالية من معظم الموضوعات سوف نجد داخل البيبليوجرافيات الموضوعية « المتخيرة » مؤلفات كثيرة ذات قيم علمية مشكوك فيها ، أو قد نجد كتباً كانت قيمة فى وقت من الأوقات ولكن حل محلها ماهو خير منها وأحدث . وبطبيعة الحال كلما حرصت البيبليوجرافيات الموضوعية المتخيرة على حذف هذه المستويات المتواضعة والضعيفة كلما رفع ذلك من قيمتها للاستعمال للعمل المرجعى : بوصفها اختزاناً لمعلومات عن مصادر لها جدواها . ولكن علينا أن ندرك أيضاً أن مثل هذه البيبلوجرافيات قد تتعمد حذف بعض الكتب باعتبارها غير مجدية بينما هى فى الواقع تشمل المعالجة التى كان بوسعها أن تجيب عن المشكلة التى دفعتنا للبحث أو التنقيب . وهذا هو أحد العيوب التى لن يبرأ منها الاختيار أياً كانت أسسه . وعلينا إذن أن نقبل الأمر على علاته :

(١) فأحياناً نجد أن البيبليوجرافية عجزت عند تجميعها عن تطبيق معايير محددة تلتزمها فيما تختار .

(٢) وإن أبرز مشكلاتنا فيما يتعلق بهذا النوع من البيبليوجرافيات هى مشكلة تعرف نواحى القصور أو الضعف فى كل منها .

وبما أننا قد لانطمئن دائماً إلى سلامة الاختيار أو قوته ، ولا إلى حكمة الناقد فى تعليقاته على مايختار ــ إذن فسوف نضطر إلى العودة إلى البيبليوجرافيات الشاملة حول نفس الموضوع (أو التى استهدفت الشمول فحاولته) بكل ماحرصت عليه من اكتمال التجميع ، فالتسجيل لكل ما ألف أو كتب عنه ، لأننا لانطمئن دائماً إلى سلامة الاختيار أو قوته ، ولا إلى حكمة الناقد فى تعليقاته على مايختار .

أضف إلى ذلك أن من المستحيل أن نتنبأ باهتمامات الأجيال المقبلة واحتياجاتها ، أو حتى بأذواقها وآرائها . فربما أعرضوا عن أسسنا فى الانتخاب ، وعن أحكامنا فى النقد . وربما احتاجوا إلى منتخبات تفى بأغراضهم هم من بين ماأدرجناه نحن فى تجميعاتنا الموضوعية « الشاملة » .

* * *

(جـ) بعض أشكال النشر ومشكلاته :

١ ــ الآن وقد بينت أن البيبليوجرافيات التى تستهدف الاكتمال لموضوعها نادراً ماتحقق هذا الهدف ــ أود أن أبين أيضاً أن كل البيبليوجرافيات تقريباً يبدأ تقادم محتوياتها بمجرد نشرها وأحياناً قبل نشرها (هذا إذا كانت التغطية عند التجميع لاتصل إلى تاريخ النشر نفسه . أى إذا كان هناك تاريخ إقفال يسبق تاريخ النشر ولو بمدة قصيرة . وأن أكثر الحالات تمثيلا لهذه الظاهرة هى البيبليوجرافيات الجارية والمتتابعة) هذا مع العلم بأن سرعة التقادم تتفاوت إلى حد بعيد فيما بين الموضوعات المختلفة .

٢ ــ ونثم نقطة هامة نريد إبرازها وهى أن كثيراً من البيبليوجرافيات الصالحة المعالجة لموضوعات بعينها لم تنشر منفصلة . بل لعل خيرة المصادر البيبليوجرافية التى تملكها مكتبة لاتمثلها مطبوعات منفصلة أو مستقلة ، وإنما نصل إليها بوسائل غير مباشرة : فمثلا قد يشار إليها داخل بيبليوجرافية للبيبليوجرافيات ، ومن هنا نعرف مكان وجودها داخل كتاب أو داخل مجلة . وربما وجدناها بعد الاطلاع على حاشية فى نهاية إحدى بطاقات الفهرس . وربما لم نصل إليها إلا عن طريق تصفح كتاب يضمها ولم يشر إليها فى عنوانه .

٣ ــ فكثيراً مانجد بين كتب التخصص الموضوعى العالى مايمكن اعتباره عرضاً نقدياً لبيبليوجرافيا ذلك الموضوع ــ وهذا على الرغم من أن الكتاب لم يدع لنفسه هذه الصفة فى عنوانه ولا فى طريقة تتابع فصوله فهو مثلا يستعرض آراء أو أفكار كتاب ومؤلفين آخرين عالجوا نفس الموضوع من قبل . وربما تبعثرت الإشارات البيبليوجرافية فى هذه الحالة خلال نص الكتاب ، أو أعطيت على شكل تذييلات فى نهايات صفحات النص ، بدلا من أن تتجمع فى نهايات الفصول أو فى نهاية الكتاب نفسه . وحتى هذه الحالة الأخيرة (أى وجود قوائم بيبليوجرافية سواء فى نهاية أحد الكتب أو فى نهاية كل فصل من فصوله) لها قيمتها فى إجابة بعض الاحتياجات البيبليوجرافية البسيطة ، وخاصة إذا كان الكتاب المشتمل على تلك القوائم مكتوباً بلغة يعرفها القارىء أو المسترشد أو المستعلم ــ لأن المصادر فى ذلك الكتاب غالباً ماتكون بلغة الكتاب نفسه .

٤ ــ وفى المكتبات الصغيرة والمتوسطة الحجم قد نصل خلال استعمالنا للبيبليوجرافيات إلى عناوين مؤلفات تملكها مكتباتنا فعلا ولكن لم تسعفنا كتالوجات المكتبة ولاتصنيفاتها فى الوصول إليها ــ وهذه المؤلفات غالباً ماتكون مقالات داخل الدوريات ، أو فصولا داخل الكتب أو داخل الرسائل الأكاديمية (الجامعية) . وهذا الغرض من أغراض البحث كثيراً ماتؤديه من أجلنا الكشافات التى تناولناها من قبل فى هذا الكتاب : كشاف للدوريات المتخصصة فقط ، أو كشاف يجمع فى مداخله التحليلية بين المقالات من الدوريات وبين الفصول من الكتب أو مايماثلها : أى المواد ذات القيمة الحقيقية بالنسبة لموضوعها بصرف النظر عن شكلها المادى الذى نشرت به .

كما أن البيبليوجرافيات الموضوعية قد تشير إلى مؤلفات أخرى لاتملكها مكتباتنا . وحينئذ ربما نلجأ إلى مكتبات أخرى لتختبر تلك المواد من أجلنا إن كانت تملكها من دوننا ، أو قد نطلب إليها إعارتنا إياها على سبيل تبادل الإعارة بين المكتبات . أو لعلنا نطلب إليها تصوير النص المطلوب ليستقر فى النهاية داخل مكتبتنا .

٥ ــ إن أهمية البحث فى البيبليوجرافيات لتتزايد عادة مع تزايد حجم المكتبة فكلما زاد حجم المكتبة كان الاحتمال أكبر فى إيجاد المطبوع أو المؤلف الذى تشير إليه البيبليوجرافية . وكلما زاد حجم المكتبة اتضحت بشكل أكبر نواحى قصور فهارسها عن الدلالة عند معالجة موضوع ما داخل المكتبة – ولعله الجانب الأقل أهمية بالنسبة للباحث وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الدقيقة والمخصصة . فالفهرس يقصر عن حصر مقالات الدوريات ويقصر عن تحليل المجموعات ، وعن تحليل التجميعات الكبيرة نسبياً من أعمال أو إنجازات الهيئات والجمعيات (خلال عام مثلا) ، أو أعمال المؤتمرات .. الخ . وذلك لأن الفهرس قد لايعنى بالفهرسة التحليلية وإنما يقتصر على إدخال الكتب مكتملة .

وأن نسبة متزايدة من الكتابات ذات القيمة فى نظر الباحث والدارس تظهر الآن فى مطبوعات تغلب فى طبيعتها صفات « التجميع » : أى أنها مواد مركبة وليست بسيطة فى تكوينها . وطالما أن غالبية الفهارس بالمكتبات لاتعنى إلا بصفحات العناوين وبالكتب

مكتملة بدون تحليل فهى إنما تمثل مجرد مظهر عرضى لطريقة النشر وليس لطبيعة المحتوى الموضوعى للمادة المنشورة .

* * *

(د) بيبليوجرافيات عن المطبوعات الدورية :

فى الفصل الثانى من هذا الكتاب تناولت بالدراسة نوعاً متميزاً من المراجع وهو الكشافات ، وكانت الفئات التى عرضتها بالتفصيل هى : كشافات الدوريات (ومنها ما هو عام وماهو خاص) ، ثم كشافات الصحف ، ثم كشافات الأحداث الجارية .

وهذه الكشافات إنما تحلل المصادر الدورية لتقدم للقارىء المداخل بالمقال ، أو بالخبر ، أو بالتحقيق الصحفى .. الخ . أى أن وحدة الجمع والإدراج إنما تنشأ من محتويات الدوريات ــ أى أن الكشافات تعرض المطبوع الدورى أو المسلسل « من الداخل » . وهى إذن بيبليوجرافيات موضوعية جارية يلجأ إليها القارىء حين تدفعه الرغبة فى تعرف أو متابعة الكتابات المتجددة حول موضوعات جارية فى مجالاتها التخصصية . وعلى ذلك فالمعلومات فى كشافات الدوريات معلومات عن كتابات نشرت منذ وقت قريب داخل مطبوعات دورية ، (هذا عن غالبيتها إن لم يكن كلها) .

ولكن النوعين اللذين سوف نعرضهما الآن من بيبليوجرافيات المطبوعات الدورية كلاهما أدلة تعرف بالدوريات « من الخارج » ــ أى ليس همها هو عرض محتوى الدورية تفصيلا أو تحليلا ، لأنها لا تتعرض إطلاقاً لمقالات الدوريات ، وإنما يقتصر الهدف من المداخل البيبلوجرافية فيها على حصر المطبوعات الدورية فقط : فالنوع الأول منهما وهو أدلة الدوريات يقدم فى إصداراته المتتابعة معلومات عن الدوريات الجارية ــ أى التى مازالت تصدر بانتظام حتى وقت نشر الدليل الذى يعرف بها وبخصائصها ... والنوع الثانى منهما وهو القوائم الموحدة للدوريات ، يقدم تجميعاً شاملا بكل مقتنيات عدد كبير من المكتبات التى تعاونت معاً فى حصر موجوداتها من الدوريات . وسواء أكانت هذه الدوريات المقتناة مازالت جارية أو انقطعت من سنوات طويلة ، فإن الذى يجمع بينها هو أنها موجودة فعلا بين جدران المكتبات المتعاونة ، وهاهى القائمة الموحدة تعرف من يريد بالأماكن (أى المكتبات) التى استقر فيها مايريده (أى أعداد أو

مجلدات بالذات من دوريات بالذات) وفيمايلى دراسة مفصلة عن كل من هذين النوعين من البيبليوجرافيات على حدة :

أولاً - أدلة الصحف والدوريات :

الصحف والدوريات : بوصفها مسلسلات ، وبوصفها شكلا من أشكال المطبوعات ـــ فى حاجة إلى بيبليوجرافيات تسجل بياناتها الوصفية فتعرف بها أو تدل عليها ، ومن هنا سميت هذه البيبليوجرافيات باسم الأدلة .

وكما يحدث فى كل بيبليوجرافية (عند بدء تجميع المادة التى تدرج بداخلها) لابد من تحديد المجال الذى سوف يغطيه التجميع . والذى حدث حتى الآن هو أنّ أساس التجميع كان فى الغالب أساساً قومياً . بمعنى صدور الدليل وقد جمع معاً صحف دولة كذا ، أو إذا توسع أكثر من ذلك فهو يجمع معاً صحف لغة كذا . وكثيراً مانجد أدلة الصحف والدوريات فى معظم الدول تصدر سنوياً . وهذا يدعونا للتساؤل : لماذا تحتاج هذه الأدلة إلى التتابع السريع بهذه الطريقة بحيث تتجدد مرة كل سنة ؟ ـــ والجواب هو أن كثرة التغيرات فى الصحف والمجلات بظهور صحف أو مجلات جديدة ، أو توقف بعضها ولو مؤقتاً ، أو إلغاء البعض الآخر نهائياً ، أو إدماج مجلتين أو صحيفتين أو أكثر فى مطبوع واحد ، أو تغير الناشر أو الهيئة الناشرة (مثلا نتيجة لبيع حقوق نشر مطبوع مامن ناشر لآخر) ـــ مثل هذه التغييرات الكثيرة والسريعة خلال العام تجعل الدليل البيبليوجرافى تتقادم فيه المعلومات بسرعة كبيرة بحيث يحتاج للتجديد ـــ وقد وجد أن التجديد سنوياً كفيل باستيعاب التغييرات وكفيل بسد احتياجات الباحث والمستعلم .

والآن نسأل : من يكون ذلك الباحث والمستعلم ؟ ـــ أى من الذى يهمه قبل غيره متابعة هذه المعلومات المتجددة عن الصحف والمجلات ؟ أى ماالفئات التى قد تحرص على اقتناء دليل للصحف والدوريات ، وتحرص على متابعته حين يراجع ويتجدد من طبعة لأخرى أو من إصدارة لأخرى ؟

١ ـــ الصحفى يأتى أولا :

لأن من الطبيعى أن نتوقع لمن يشتغل بمهنة ما أن يهتم باستمرار بأن يتابع على الأقل بعض جوانبها الأكثر التصاقاً بعمله وبدنيا اهتماماته المهنية المباشرة .

فالأدلة قد لاتكتفى بأن تورد فقط معلومات عن كل جريدة أو مجلة على حدة :

(أ) بل يعمد بعضها إلى جمع قائمة فى أول المجلد السنوى تلخص كل التغييرات التى حدثت خلال العام سواء فى عناوين الدوريات ، أو فى اسم ناشرها ، أو نتيجة لتوقف أو مصادرة ... الخ .

(ب) وبعضها يعطى أسماء النقابات الصحفية وعناوين مقارها .

(جـ) وبعض الأدلة تعطى عناوين المكاتب الصحفية التابعة لكل جريدة من جرائد الأقاليم حين تفتح مكتباً لها بعاصمة الدولة .

(د) وبعضها يعطى أسماء وعناوين وكالات الأنباء .

(هـ) وبعض أدلة الصحف قد يعطى معلومات عن دنيا السياسة والأحزاب والهيئات الحاكمة والهيئات النيابية فى بلادها ـــ وذلك باعتبارها من أكثر المعلومات التصاقاً بالصحف السياسية (انظر الدليل الفرنسى) .

Annuaire de la presse francaise et etrangere et du Monde Politique, 1880- Paris, Administration et Reduction 1880- V. I- illus. (Annual).

(و) وبعض الأدلة (مثل الدليل الإيطالى)

(Annuario della stampa Italiana).

يلخص فى بدايته قوانين النشر فى بلاده ، ويعطى موجزاً للقضايا الصحفية التى حدثت خلال العام . أى أنها دراسة قانونية ، وسوابق قانونية وأحكام لها قيمتها من وجهة نظر الصحفى والناشر والكاتب أياً كان .

(ز) هذا بجانب المعلومات العادية عن المعالم الطبوغرافية للمدينة التى تصدر بها الجريدة ، أو عن المؤسسات الرئيسية بها . أى أنها معلومات إضافية وليست بالضرورة صحفية ، ولكنها تتصل بشكل ما باهتمامات الصحفى وغير الصحفى : فعدد السكان وموقع المدينة وطرق الوصول إليها ونوع الصناعات والموارد المادية بها ، ونوع المؤسسات العامة بها ـــ كل هذه المعلومات ترسم الإطار السكانى والعمرانى والثقافى والمالى للجهة التى تصدر بها الصحيفة أو المجلة ، فإن صحبتها خرائط مبسطة إذن ففائدتها الإعلامية تتزايد تبعاً لذلك . والخرائط منها مايهتم

أصلا بخطوط المواصلات الجوية أو البحرية ، أو خطوط السكك الحديدية أو الطرق الرئيسية . وهناك أيضاً خرائط التوقيت (أى خريطة للعالم أو لقارة ومبين عليها المناطق التى تتفق طولياً فى نفس التوقيت ... الخ) .

وتعطى هذه المعلومات (وغيرها كثير) فى الأدلة التالية :

1. Newspaper Press directory; and advertiser's guide... London, 1846- V.I. illus. (Annual/British).
2. Willing's Press guide, 1874. London, Willing, 1874- V.L. (Annual/ British)
3. Ayer, Firm, Philadelphia. N.W. Ayer and Son's Directory of newspapers and periodicals... Phila., Ayer, 1880 V.I. maps., tables... (Annual/American).

٢ ــ وأمين المكتبة يأتى ثانياً :

(أ) فأمين المكتبة يهمه قبل أن يختار دورية (مجلة أو جريدة) للاقتناء أن يعرف عنها أقصى مايمكن جمعه من المعلومات بقصد تمكينه من تقييمها ليصدر فيها حكماً أقرب إلى الدقة وسلامة التقدير . ولذلك فالمعلومات التى يحرص على البحث عنها على أمل أن يشملها الوصف البيبليوجرافى الكامل داخل الدليل هى :

١ ــ عنوان المجلة أو الجريدة .

٢ ــ اسم ناشرها وعنوانه .

٣ ــ سنة البدء فى إصدارها .

٤ ــ طريقة تتابع الإصدار : يومية ــ أسبوعية ــ شهرية ــ نصف شهرية ــ فصلية ــ نصف سنوية ... الخ صباحية ــ مسائية .

٥ ــ وفى أى يوم من أيام الأسبوع تصدر ــ أو فى أى يوم من الشهر تصدر وفى أى شهور السنة تصدر ... الخ ؟

٦ ــ وماثمن العدد ــ وماقيمة الاشتراك السنوى ؟

٧ ــ ثم ماحجم المجلة أو الجريدة (أى ارتفاعها بالسنتيمترات : لأغراض التجليد مستقبلا ــ لأن المجلد يهمه هذا النوع من المعلومات ــ والمكتبى يعنى بهذا قبل اقتناء الدورية ؟

٨ ــ هل يتم تحليل المجلة فى أى كشافات مطبوعة ــ وماهى ؟

٩ ــ هل يصدر ناشر المجلة كشافاً خاصاً للمجلة يحلل محتويات المجلد السنوى ؟

١٠ ــ هل المجلة مصورة ، هل بها خرائط ، هل بها جداول إحصائية ، هل بها قوائم بيبليوجرافية ، هل هى ملونة فى صورها أو فى خرائطها ... الخ .

(ب) ثم يأتى الاستعمال المرجعى للمعلومات الجغرافية والطبوغرافية التى تشملها أدلة الصحف والدوريات والتى شرحتها تفصيلا فى البند (ز) بالصفحة قبل السابقة .

(جـ) كما أن أى مكتبة سوف يوجد بها فى وقت ما مستعلم تدور اهتماماته حول نفس النقاط التى يهتم بها الصحفى نفسه والتى بينتها من قبل فى القسم رقم ١ – فى البنود من ألف إلى واو بنفس تلك الصفحة من هذا الكتاب .

٣ ــ والمعلن يأتى ثالثاً :

وهذا تهمه أرقام التوزيع : ماعدد النسخ التى تطرح فى السوق عادة من كل مطبوع دورى ؟ وفى أى المناطق يتم توزيعها ؟ لأن المعلن يهمه أن يغطى جمهوراً بعينه ، ويهمه أن يعرف أنجح الأدوات الموجودة فعلا للاتصال بذلك الجمهور أو للتأثير فيه : وليس الأمر هنا قاصراً على مجرد أرقام التوزيع بل أن اختيار دورية للإعلان فيها يتأثر بنوعية الدورية ، ما نوع الجمهور الذى يقرؤها ولأى الأغراض . مثلا الإعلان عن أجهزة طبية أين أفضل أن أنشره ؟

والإعلان عن مراجع صدرت حديثاً أين أفضل أن أنشره بحيث تروج ؟

والإعلان عن أقمشة أو أدوات منزلية مثلا أين أفضل أن ينشر ؟ وهكذا .

والاختيار لأجل الإعلان يتطلب مقارنة ، والمقارنة تتطلب تفصيل المعلومات أولا ، وشمول التجميع ثانياً ــ ثم يتم الاختيار بعد توفر هذه الظروف المواتية لمقارنات عادلة .

٤ ــ والمشتغل بالإحصائيات الثقافية يأتى رابعاً :

وخاصة إذا كان الدليل الصحفى لايكتفى فقط بإحصائيات إجمالية لما يصدر فى الدولة كلها معاً ــ وإنما يعنى بربط الأرقام بالمناطق الأدق والأصغر . ماالذى يصدر من

صحف فى منطقة كذا أو إقليم كذا ؟ ومامدى كفايته عددياً ، ومامدى كفايته نوعياً ، بل وإن أمكن أن نسأل ماالتخصصات المتخمة بكثرة مايصدر فيها ، وما التخصصات التى تعوزها الدوريات المناسبة ؟

فإذا أريد للإحصائيات أن تغطى ماتريد حصره تغطية نوعية سليمة إذن لابد من تجزىء المجلات والصحف التى نجمعها فى الدليل تجزيئاً موضوعياً بجانب التجميع على أساس تقسيمات المناطق الجغرافية (تحت أسماء الدول ــ أو أسماء الولايات والألوية ... الخ) .

وهنا يحضرنى سؤال :

متى نتخطى نطاق اللغة والمكان فى أدلة الصحف والمجلات ؟ بمعنى :

متى نتوقف عن أن نقول هذه هى المجلات التى تصدر بلغة كذا ؟

ومتى نتوقف عن أن نقول : هذه صحف أو دوريات دولة كذا ؟... الخ .

تخطى نطاق المكان يكون عادة لصالح الشمول فى التجمع الموضوعى ، أى أننا قد نحاول أن نجمع أصلح الدوريات فى مجالات علم كذا . وهنا يختار جامع الدليل مايعتقد أنه الأصلح فيفصل المعلومات عنه ويشرحه بمايكفى لتقييمه وتيسير الاستدلال لمن يريد التعرف عليه أو اختياره للاقتناء .

وهذا الاهتمام الموضوعى (بصرف النظر عن لغة المجلة ، أو مكان صدورها) يتمثل فى أدلة تقصر نفسها على المجلات فقط ــ وأشهر مثال لذلك هو الدليل التالى :

Ulrich's Periodicals Directory; A classified guide to a selected list of current periodicals, foreign and domestic. N.Y., Bowker, (date varies according to latest edition).

وهذه القائمة مصنفة ، ومتخيرة ، لمجلات ودوريات جارية باللغات الأوروبية الحية الرئيسية المعروفة ــ تم اختيارها مما يصدر فى العالم أجمع ، وقد أدمجت كلها معاً تحت التقسيمات الموضوعية بالرؤوس .

وبطبيعة الحال هذا الترتيب الموضوعى يتبعه فى نهايته كشاف هجائى يساعد على

البحث عن عنوان دورية بعينها إذا عرف الباحث عنوانها أى اسمها ولم يعرف أين صنفت موضوعياً وهذا استعمال إضافى لهذا المرجع بجانب استعماله أصلا للبحث عن الدوريات التى قد لانعرف شيئاً عن اسمها ولكن نعرف أننا نريد دوريات موضوع كذا : إذن فلننظر ماذا جمع الدليل منها ــ وأهم من ذلك ماذا قال عنها .

* * *

ثانياً – القوائم الموحدة للدوريات :

إذا فرضنا أننا نريد أن نخلق أداة بيبليوجرافية واحدة تدل على محتويات عدد من المكتبات من المطبوعات المسلسلة (مجلات ــ دوريات ــ صحف ــ متتابعات) فى وقت واحد ، وإذا فرضنا أن الغرض الرئيسى لها هو حصر مايوجد فى أى من المكتبات المتعاونة من أعداد أو مجلدات أى دورية بعينها ــ فإن مواصفات المرجع الناتج عن هذا التجميع تتخذ الشكل الآتى :

١ ــ تتابع أسماء الدوريات المقتناة فى هذه المكتبات مجتمعة فى ترتيب هجائى موحد .

٢ ــ تحت اسم كل دورية بيان بالمكتبات التى تقتنيها وكمية ماتضمه منها كل مكتبة بالضبط .

٣ ــ البيانات الوصفية البيبليوجرافية عن كل مطبوع دورى أو مسلسل مفصلة تماماً .

وهذه بالضبط هى مواصفات « القائمة الموحدة للدوريات » .

والمكتبات المتعاونة فى هذه الحالة عادة متجاورة أى تقع فى نطاق جغرافى متقارب نسبياً ، أو هى على الأقل مكتبات تخصص متشابه أو متقارب موضوعياً والدوريات المحصورة قد تقتصر حينئذ على نوعيات محددة تحديداً قاطعاً بالموضوع فيصبح حصر المقتنيات جزئياً وليس حصراً مطلقاً . وفى كلتا الحالتين ليس المرجع الناتج إلا قائمة موحدة للدوريات فى منطقة كذا ، أو لمكتبات كذا ، أو لمجلات موضوع كذا فى المنطقة ... الخ .

إذن فهى أداة أهميتها الأولى لمن يبحث : أين توجد مجلة كذا التى صدرت واقتنيت فى الماضى ونريد الرجوع إلى مقال تحتويه . اسم المجلة معروف لنا ــ وربما رقم العدد

المطلوب ــ أو على الأقل تاريخه ــ ورقم المجلد ــ وربما رقم الصفحة أو الصفحات المطلوبة بالضبط ، ولكن أين إذن أجد المجلة ، أو على وجه التخصيص أين أجد المقال المطلوب .

إذن فالقائمة المطلوبة تكمل للباحث فى الكشافات بحثه بأن تيسر له الوصول إلى نسخة ما أو عدد من النسخ لمقال مطلوب استقر داخل مجلة فى مكتبة ما أو فى عدة مكتبات ــ وهذه المكتبات كما ذكرت من قبل يضمها معاً فى العادة نطاق جغرافى متقارب بحيث يتيسر فعلا الوصول إلى نص المقال المطلوب .

وبطبيعة الحال مادامت المجلات مقتناة لدينا فعلا (فى أى من المكتبات المتعاونة عند تجميع القائمة لحصر محتويات تلك المكتبات) إذن فالفرصة مواتية جداً لتفصيل الوصف البيبليوجرافى عن كل منها ــ تفصيل الوصف من واقع المجلة نفسها . ولذلك تعتبر المعلومات البيبليوجرافية عن المجلة أو الدورية فى بعض القوائم الموحدة للدوريات من أكمل الصيغ البيبليوجرافية عن هذه المجلات . وقدلا يجاريها فى هذا إلا مايدرجه عنها أحد أدلة الصحف والدوريات .

ولكن عيب الدليل هو أنه لايعنى إلا بالإبقاء على الدوريات والصحف الجارية ، فيسقط سنوياً كل مايتوقف عن الصدور خلال العام . فإذا لم نكن نعرف التاريخ الذى توقفت فيه مجلة ما عن الصدور فى الماضى البعيد نسبياً إذن فكيف نعرف فى أى دليل نبحث أو فى أى مجلداته السنوية القديمة نبحث . إذن فالسبيل للبحث عن معلومات وصفية مكتملة عن دورية قديمة (ولعلها توقفت عن الصدور منذ زمن طويل) هو البحث فى القوائم الموحدة للدوريات : فلعل إحدى المكتبات اقتنت هذه المجلة فى الماضى ولازالت تبقى عليها فسجلت بياناتها الوصفية المكتملة فى مكانها الهجائى من القائمة الموحدة .

وبذلك نكون قد ذكرنا استعمالين أساسيين للقوائم الموحدة للدوريات فالقائمة الموحدة بوصفها أداة مرجعية تجيب على كل من السؤالين التاليين :

(أ) أين توجد مجلة كذا ؟ وما مدى اكتمال مايوجد منها فى الجهة التى استقرت بها فعلا ؟ وما أسماء المكتبات المشتملة عليها حتى نقرأها بها ، أو نستعيرها منها أو تصور لنا .

(ب) ماطبيعة مجلة كذا ومابياناتها البيبليوجرافية / اسم الناشر ، وسنة البدء ، وطريقة تتابع إصدارها ، وماالذى يكون مجموعة كاملة منها بالضبط (أى ما مجلداتها وأعدادها التى صدرت فعلا — وهذا يمكن المكتبات من معرفة مدى اكتمال أو نقص ماتملكه منها) . ماملحقاتها إن وجدت ... الخ . ومتى توقفت عن الصدور ؟

ويجب أن يستقر فى أذهاننا أن المجلات التى تشملها قائمة موحدة للدوريات ليست بالضرورة هى المجلات الصادرة فى الدولة نفسها . فعلى عكس دليل الصحف والدوريات (الذى يتخذ عادة شكل المرجع القومى لصحف دولة بعينها أو لغة بعينها) ، سوف نجد أن القائمة الموحدة للدوريات تشمل أسماء مجلات استوردت من مختلف أنحاء العالم لتستقر فى المكتبات المقتنية لها . وهذا طبيعى لأن هذه القائمة حصر لمقتنيات ، ولأن مكتبات البحث والدراسة تقتنى مجلات من كل أنحاء الدنيا تقريباً ، ويهمها أن تعرف أين استقرت هذه المجلات .

فمثلا لو أننا أردنا أن نحصر الموارد المتاحة فى القاهرة من المجلات العلمية فى مجال علوم كذا وكذا .. ولو أننا طلبنا إلى المكتبات المتعاونة داخل هذا المشروع أن تحصر مالديها تمهيداً لإدراجه فى مثل هذا المرجع ، إذن فسوف نجد أمامنا مجلات بلغات مختلفة ، ومن دول مختلفة ، ومقتناة من عصور مختلفة ، وبعضها مازال جارياً ، وبعضها توقف عن الصدور منذ زمن بعيد ، ونسبة غير العربى منها أضعاف أضعاف العربى — وهذا كله يمثل ظواهر طيبة جداً وهى يقظة الجامعين فى الماضى والحاضر واتساع أفقهم وحرصهم على قوة التجميع وشموله ، وإلمامهم بلغات أوروبية متعددة هى كذا وكذا وكذا .

* * *

وهناك استعمالان آخران للقوائم الموحدة للدوريات نذكرهما بالإضافة إلى ماذكرنا :

(جـ) وجود قائمة موحدة للدوريات تغطى مقتنيات عدد من المكتبات من المجلات والدوريات والصحف والمتابعات سوف يمكن تلك المكتبات المتعاونة من تبادل بعض ماتملكه من هذه المسلسلات فيما بينها إذا أرادت ، (وسوف نفصل ذلك بعد قليل) .

(د) يمكن لقائمة موحدة للدوريات أن تساعد أمين المكتبة على أن يقرر تفضيل اقتناء دورية يعتزم الاشتراك فيها ، أو أن يصرف النظر عن اختيارها .

ونناقش فيما يلى كلا من هذين الاستعمالين :

(جـ) استعمال القائمة الموحدة للدوريات لأغراض تبادل الدوريات بين المكتبات :

قلنا أن القائمة الموحدة تحصر تحت اسم المطبوع المسلسل أو الدورى أسماء المكتبات التى تقتنيه بانتظام ، أو التى كانت تقتنيه فى الماضى ثم عدلت عن الاستمرار فى اقتنائه . فإن كانت الدورية نفسها قد توقفت عن الصدور فهذا لايمنع تفصيل بيان مااستقر منها داخل المكتبات المتعاونة قبل أن يتوقف إصدارها . (ونقصد « بالمكتبات المتعاونة » مجموع المكتبات التى اتفقت معاً على حصر ماتملكه من مطبوعات مسلسلة : من دوريات ومجلات ، ومتتابعات وصحف ــ ثم نشرت به قائمة موحدة) .

وأسماء المكتبات حين توضع تحت اسم مجلة أو مطبوع دورى ، ثم لاتلبث أن توضع تحت اسم مطبوع دورى آخر ، ومطبوع ثالث ، ورابع وهكذا .

هذه المكتبات لابد من اختصار أسمائها منعاً لتكرار أسماء طويلة نسبياً مئات المرات داخل نفس المرجع . ولنفرض مثلا أن عدد المكتبات المتعاونة مائة مكتبة . فى هذه الحالة يسجل جامع أو محرر القائمة أسماء المكتبات المتعاونة فى قائمة هجائية صغيرة فى أول المرجع . وأمام اسم كل مكتبة يضع الرموز المختصرة التى سوف تستعمل باستمرار للدلالة على تلك المكتبة كلما جاء ذكرها تحت اسم دورية ما . والرموز المختصرة تتكون عادة من الأحرف الأولى من اسم المكتبة ، بشرط ألا يكرر رمز مكتبة أخرى .

والجامع لايكتفى فقط ببيان رموز مكتبات كذا وكذا تحت اسم دورية ما ، بل يبين تفصيل ماتحتويه تلك المكتبات (واحدة فأخرى) من مجلدات تلك الدورية . أى أن بيان المقتنيات يعنى بدقة حصر موجودات كل دورية فى كل مكتبة تملك منها أى إصدارات : أعداد متفرقة ، ومجلدات مكتملة سواء أكانت متتابعة أم تتخللها فجوات ونواقص .

إذن فعلى فرض أن مكتبتى ولنسمها المكتبة « هـ » وجدت بعد حصر مقتنياتها أنه ينقصها مجلد كذا من مجلة كذا ، وينقصها الأعداد كذا وكذا من المطبوع الدورى كذا . إذن ففى إمكان مكتبتى بعد نشر القائمة الموحدة للدوريات أن تطلع تحت اسم

تلك المجلة نفسها لتعرف أولا أى المكتبات تملكها . ولتعرف ثانياً أى المكتبات تملك منها مجموعات ناقصة وغير مستمرة . وهل يوجد بين هذه السلسلة الناقصة المجلد الذي نريده ؟ فإذا وجدناه فى المكتبة « ع » أو المكتبة « س » ــ وكلاهما لم تعن كثيراً باستمرار أو انتظام حصولها على تلك المجلة ، إذن فالاحتمال كبير فى أن تقبل كلا المكتبتين إرسال المجلد المطلوب أو الأعداد المطلوبة إلى المكتبة « هـ » حين تطلب هذه الأخيرة الحصول عن طريق التبادل على هذه الأجزاء التى تنقصها (سواء أكانت مجلدات أو أعداد) . وذلك لأن وجود سلاسل متقطعة وغير مستمرة من مطبوع دورى فى مكان مايدل عادة على أن أهمية ذلك المطبوع فى ذلك المكان غير أساسية ــ (ومثل هذا الاستنتاج يمثل مجرد احتمال) . هذا بينما وجود فجوات قليلة فى المجموعة الخاصة بنفس المطبوع الدورى أو المسلسل فى مكتبة أخرى قد يدل على أحقية المكتبة ذات « النواقص » أو الفجوات القليلة ــ أحقيتها فى استكماله مادامت تهتم به وتعنى فعلا باستكماله عن طريق الحصول على ماينقصها خلال عمليات تبادل المطبوعات بين المكتبات المتعاونة .

إذن فالقائمة الموحدة للدوريات تيسر للمكتبات معرفة أى الجهات أو المكتبات الأخرى يحتمل أن تستجيب لرغبتنا فى الحصول على أعداد أو مجلد من مطبوع يبدو لنا أنهم لا يعنون كثيراً بالإبقاء عليه (بدليل عدم اكتمال أو استمرار مجموعاتهم منه) بينما نحن نعنى باستكمال مجموعاتنا منه خلال ملء فجواته واستكمال نواقصه .

ومسألة التبادل هذه تتم خلال التراسل بين المكتبتين . وحين تحدث ينتج عنها نقل ملكية المجلد أو العدد أو الأعداد من مكتبة لأخرى بحيث تصبح المعلومات المنشورة فى القائمة الموحدة للدوريات غير صحيحة بمجرد إتمام عملية التبادل لأن ملكية أجزاء من المجلد قد اختلف مكانها . فكأنما هذا النوع من المراجع حين يستخدم لأغراض التبادل إنما يحطم بنفسه دقة المعلومات بداخله ، مما يفرض الحاجة مستقبلا لمراجعته وتصحيح المعلومات به ــ هذا بجانب تسجيل الإضافات الجديدة من المجلات الجارية ، والمجلات الجديدة مما بدأ إصداره خلال سنوات حديثة .

وعلى ذلك تصدر القائمة الموحدة للدوريات ملاحق تغطى بها ماالتقنى حديثاً فى المكتبات المتعاونة . وكذلك تصدر طبعات جديدة لنفس القائمة تصحيحاً للدلالة المرجعية لما حصر من مقتنيات .

(د) استعمال القائمة الموحدة للدوريات لأغراض اختيار دوريات جديدة للاقتناء :

عملية اختيار الكتب ، واختيار الدوريات ، واختيار المطبوعات عموماً للاقتناء عبارة عن عمليات ترجيح وتفضيل ـــ بعد مقارنة وتقييم ـــ وخاصة حين تتعدد المطبوعات للموضوع الواحد أو للغرض الواحد ، ويراد عندئذ اختيار الأصلح ليقتنى .

وتتعدد عوامل الترجيح عند اختيار مجلة للاقتناء ، ومنها :

١ ـــ مقترحات القراء أوالباحثين المترددين على المكتبة . مع تقدير مدى جدية هذه المقترحات .

٢ ـــ ماتذكره عنها الأدلة الخاصة بالدوريات ـــ هل تتحمس لها وتزكيها ؟ فإن خشينا ترويجاً تجارياً فى الدليل الذى استشرناه إذن فأمامنا إحدى الوسيلتين التاليتين :

٣ ـــ هل تعنى الكشافات المطبوعة للدوريات بتحليل محتويات تلك الدورية داخل نطاق تخصصها الموضوعى ، أو داخل نطاق فئتها واستعمالاتها (عامة أو خاصة) . أى هل للمجلة قيمة مرجعية بحيث يشير كشاف أو أكثر إلى مقالاتها . فإن فعلت الكشافات فإلى أى حد إذن ؟ هل يعتمد الكشاف علمياً على هذه الدورية بكثرة ؟ هل يذكر مقالات منها تحت رءوس موضوعات هامة وأساسية للتخصص أو للبحث أو للإعلام العام ؟ وكيف ذلك ؟

٤ ـــ والطريقة الأخيرة للترجيح هى التى تهمنا فيما يتعلق بقوائمنا الموحدة وباستعمالاتها :

فإذا كانت المجلة جارية إذن فسوف تهتم المكتبات المقتنية لها باستمرار الاشتراك فيها ، إذا كانت تجد فيها ضالتها لخدمة أغراض بحث أو إعلام . فإن لم تقتنع بها لمدة طويلة إذن سوف تسقطها من حسابها وتلغى الاشتراك فيها .

وهنا نختبر القائمة الموحدة للدوريات (وخاصة إذا كانت حديثة الصدور) ـــ فإذا تبينا منها أن عدداً غير يسير من المكتبات يقتنى هذه الدورية باستمرار وبانتظام لمدة طويلة نسبياً ـــ ومازال يحصل عليها حتى الآن ، إذن فلعل فى هذا مايدل على أن هذا المطبوع يرضى لهم غاية علمية من نوع ما .

ثم إذا اختبرنا نوعية هذه المكتبات المقتنية : هل نطمئن لمستوياتها فى الاختيار ؟ هل تشبه أهدافهم أهدافنا ؟ هل يملكون القدرة على النقد والتقييم المتمكن الواعى ؟ــ هنا وهنا فقط يحق لنا أن نقلدهم فنسترشد بمختاراتهم لنفعل المثل ونرجح على ضوئها مانختاره بالاشتراك والاقتناء بمكتباتنا .